

المنهج الأسلوبي ومرجعياته اللسانية في مقارنة النص الأدبي

الدكتورة: نور الهدى حسني

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد خيضر - بسكرة

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى النظر في المرجعيات اللسانية للمنهج الأسلوبي بصفته من أحدث المناهج النقدية واللغوية التي تقارب النصّ الأدبي وتبحث في خصائصه المميزة بالتركيز على جملة من العناصر والآليات يعود أغلبها إلى التطورات المنهجية والعلمية التي عرفتها اللسانيات الحديثة مع فردينان دي سوسير، فنحاول إبراز هذه المرجعية اللسانية وأثرها في إكساب المنهج الأسلوبي صرامة ودقة في كشف خصائص الأسلوب في النصوص البليغة.

لعلّ من أهم منجزات النقد الأدبي الحديث ومناهجه التي تطورت بسرعة في النقد الغربي، هو التطور المنهجيّ في مقارنة النصّ الأدبي استنادا إلى آليات لغوية ونقدية تغوص وتعمّق النظر في معانيه ومضامينه، فظهرت إثر ذلك مناهج عديدة لدراسة الظاهرة الإبداعية وتحليلها وفي مقدّمتها المنهج الأسلوبيّ الذي يعد من أدقّ المناهج في مقارنة النصّ الأدبي وأكثرها حيوية، كونه يقدم تفسيرات أكثر دقة وضبطا مقارنة بغيره من المناهج الأخرى، ويلتفت إلى ظواهر عديدة تبحث في الخصائص الجمالية والشعرية التي تُكسب النصّ أدبيّته وتمنحه أسلوبه الخاص. إنه-المنهج الأسلوبي يبحث في أسس تميّز عملية الإبداع والعمل القولّي عامّة، ويبحث في عناصره الجمالية استنادا إلى آليات ذات مرجعيات لسانية.

أولاً: قيمة المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي والتحليل الفني في ضوء اللسانيات المعاصرة:

يمتاز المنهج الأسلوبي بالنقد الموضوعي والتحليل العلمي لاعتماده على معطيات اللسانيات، كما تمتاز بغياب ذاتية الناقد والمحلل، فالناقد يتعامل مع ألفاظ وتراكيب يصدر حكمه عليها دون أن يحاكم المبدع وعليه" فنجاح المنهج الأسلوبي يقوم على فرضية أساس هيّ كون العمل الأدبي كلّه دالا تقوم فيه كل جملة بوظيفة كالكلمة المفردة تماما بحيث تتجمّع من وظائفه الجزئية كلّية النص، وعلى هذا تذوب ذاتية الناقد نظرا لأنه محكوم بطبيعة هذه الوظائف وصلتها بالسياق العام وصلتها بمنطقة النص ذاته، فالدقة الموضوعية أمر متاح مادّنا وضعنا في الاعتبار الشروط الدلالية للعمل الأدبي".

وهي شروط لسانية بالأساس تبرز أثر اللسانيات في إكساب المنهج الأسلوبي موضوعيته ودقته وصرامته ناهيك عن كون النص في النظر الأسلوبي لا يخلوا من كونه دوالا ومدلولات يحاكم العمل الفني من خلالها، فهي التي تكشف عن المستوى الفني والجمالي من خلال قدرتها على التأثير في المتلقي بأساليب بديعة وجميلة.

وتظهر قيمة الأسلوبية في كل هذا أيضا في كونها باعتمادها على الآليات اللسانية صارت تميل إلى نتائج عميقة في دراسة النص الأدبي مقارنة بالنقد القديم⁽¹⁾، الذي كان يركز على حياة الشعراء وبيئاتهم أكثر من الاهتمام بالظواهر الجمالية والفنية، وهو ما أضعف علاقة النقد بالنص" ولهذا تفوقت الأسلوبية على النقد لأنها استطاعت أن تتجاوز مرحلة الضعف الموجودة إذ اعتمدت اعتمادا كبيرا على اللغة في تعاملها مع النص الأدبي، ثم اندمجت بعد ذلك مع النقد ليكمل كل منهما الآخر وليشكل معا ما يسمّى النقد الأسلوبي، فقد قدّمت الأسلوبية كثيرا من التحليلات في المجال اللغوي من حيث العلاقات التعبيرية الموجودة داخل النص"⁽²⁾

وبهذا قدّم المنهج الأسلوبي في تحليله للنص حولا لكثير من الإشكالات خاصة وأنّ النص بالنسبة للنقد يعدّ تحديا وإشكالية معقّدة ومصدرا لحوار خصب في المفاهيم والمقاربات النقدية⁽³⁾

بهذا احتلّ التحليل الأسلوبي للنص موقعا مهما في النقد المعاصر وبدا التحليل الأسلوبي ينظر إلى النص نظرة نقدية شاملة تأثر بها كثير من النقاد المحدثين.

ويظهر أثر اللسانيات في المنهج الأسلوبي في ارتباط الأسلوبية كثيرا بالبنوية التي تركز على النص من خلال الثنائيات الموجودة فيه، حيث تعتمد على الظواهر اللغوية لاستنتاج الدلالات والمعاني فالأسلوبي يختبر لغة الكاتب وأسلوبه من خلال تراكيب النص. فالمنهج الأسلوبي يقوم على مقارنة النص الأدبي معتمدا على آليات لسانية بالأساس، منها مستويات اللغة بصوتها وصرفها وتركيبها ودلالاتها، ومنها التقديم والتأخير والحذف والذكر، والتعريف والتكثير والاستعارة والكنائية التي تندرج ضمن قضايا الانزياح تركيبيا ودلاليا والمفارقة الأسلوبية.

فالأسلوبية بصفتها منهجا" مجموعة من الإجراءات الأدائية تمارس بها مجموعة من العمليات التحليلية التي ترمي إلى دراسة البنى اللسانية في النص الشعري وعلاقات بعضها ببعض الآخر...."، فموضوعها الجانب الإبداعي والمتميز في الأعمال الأدبية. والحديث عن الأسلوبية واللسانية وعلاقتها قد يطول ويتشعب بسبب كثرة ما أُف في هذا المجال وتعدّد الرؤى والتصورات غير أنّ البين هو النظر للأسلوبية بعدّها منهجا يبحث في الاستعمال الأدبي للغة وهو استعمال يتجاوز لغة الجملة إلى لغة النص، ويعالج الأسلوب الأدبي بصفته" كل شكل مكتوب فردي ذي مقصدية أدبية." (4)

ثانيا: أثر اللسانيات في نشأة الأسلوبية:

إثرَ النقلة النوعية التي حدثت مع فردينان دي سوسير في البحث اللساني الحديث وثنائياته التي فتحت المجال رحبا لكثير من الدراسات انطلقت منها وتوسّعت في المعالجة، أو نقدت فكرة ما وبنّت عليها بديلا منهجيا ولسانيا، ظهر في ساحة البحث اللساني تخصصات معرفية ومدارس لسانية عديدة منها الوظيفية والسياقية والتوليدية التحويلية، وغيرها، وامتدّ الأثر إلى النقد الأدبي ومناهجه التي استفادت أيما استفادت من اللسانيات في تحليلاتها ومقارباتها للنصوص الأدبية، نحو السيميائية والأسلوبية موضوع الدراسة.

فالأسلوبية ظهرت بصفقتها فرعا لسانيا مع شارل بالي (Ch.bally) أحد تلاميذ " فردينان دي سوسير" إذ انطلق من تفرقة أستاذه بين اللغة والكلام مهما النظر في الكلام بصفته فرديا ومختلفا من شخص لآخر يستحيل تنظيمه وتقنيته عكس اللغة التي تميز الجماعة اللغوية بصفقتها نظاما اجتماعيا راسخا في أذهانهم منظما لتواصلهم وتعاملاتهم، ولا سلطة للفرد في تغييره إلا في حدود ضيقة.

من هنا ركز "شارل بالى" على الكلام الذى أهمله أستاذه، وبيّن أنه المجال الذى يمكن للفرد الإبداع فيه والتعبير ضمنه مانحا للأسلوبية شرعية وجودها ممثلة عنده فى الأسلوبية التعبيرية.

فالألوبية تتصل بالكلام (وهو الحيز العملى المحسوس المسمى: عبارة، أو خطابا أو نصا أو رسالة أو طاقة بالفعل).⁽⁵⁾

وفى هذا المقام تأتي الأسلوبية مع "شارل بالى" لتتحدّد بدراسة الخصائص اللغوية التى بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخبارى إلى وظيفته التأثيرية والجمالية⁽⁶⁾، ومعه تمّ تحديد الأسلوبية علما قائما بذاته، منطلقا من كون اللغة تعبيرا عن العواطف والأحاسيس، ثمّ انبرى لدراسة الأسلوب وفق طريقة علمية لسانية بنىوية، فقد حدّد مواضيع أسلوبيته انطلاقا من معيارين هما⁽⁷⁾:

1- أنّ علاقة اللغة بالفكر هى الباعث على قولبة اللغة فى سياق تسمح به المفردات المتوافرة لدى صاحب الكلمات؛ فىكون إنتاج اللغة رهينا بمعطيات المرسل وعناصره الكلامية والواقع والسياق وأبعاده.

2- من اهتمامات الأسلوبية البحث فى اللغة اللسانية التى تصعب دراستها داخل شبك النص الأدبى، والسبب فى ذلك راجع إلى كون الأسلوبية عند "بالى" متعلقة بفهم الأبعاد التعبيرية للغة النص، باستثناء ما يحويه من أبعاد جمالية وتعليمية، ومن هنا جاء تعريفه للأسلوبية بأنها: "تدرس وقائع التعبير اللغوى من ناحية مضامينها الجمالية؛ أى أنّها تدرس تعبیر الواقع للحساسية المعبر عنها لغويا، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية"⁽⁸⁾، وهو باختصار ما يمكن أن نسميه "لهجة شخصية"⁽⁹⁾، تفضح فكر الإنسان ضمن قالب لغوى إنسانى.

فالألوبية مع شارل بالى تقوم على أساس لغوى متين ورثه عن أستاذه، درس فيها الأبعاد النفسية والوجدانية للغة، جاعلا منها فرعا لسانيا، يقول فى تعريف الأسلوبية: "دراسة قضايا التعبير عن قضايا الإحساس وتبادل التأثير بين هذا الأخير والكلام... والأسلوبية كفرع من اللسانيات العامة تتمثل فى جرد الإمكانيات والطاقت التعبيرية للغة بالمفهوم السوسيرى"، فهى وجه جمالى للغة" يبحث فى الخصائص التعبيرية والشعرية التى

يتوسلها الخطاب الأدبي وترتدي بذلك طابعا علميا تفريريا في وصفها للوقائع وتصنيفها بشكل موضوعي ومنهجي"⁽¹⁰⁾

هذا من جهة الخلفية الفكرية للنظرية اللسانية الحديثة، ويبقى من الجهة الأخرى أن نعترف بفضل اللسانيات في إنتاج أدوات البحث الأسلوبي، وهي أدوات علمية نتيجة دراسات دقيقة في مباحث متعددة تشمل ما هو صوتي، ودلالي، وتركيبية، وصرفي،⁽¹¹⁾ فالنوع المهور بالطبع في هذه الدراسات المتخصصة مكن الناقد الأدبي بأدوات قادرة علميا على سير أغوار النص الشعري وتشريحه، فـ" الأسلوبية تحليل لغوي موضوعه الأسلوب وشرطه الموضوعية وركيزته الألسنية"⁽¹²⁾

يتضح بعد هذا مدى احتياج الأسلوبية للسانيات العامة، لدرجة أن عدّها بعض الدارسين فرعا لسانيا كما يرى منذر عياشي شأنها شأن علم الدلالة وعلم الإشارة.. ولعل ما يمكن الوصول إليه في العلاقة بين الأسلوبية واللسانيات أن الأسلوبية منهج نقدي يستند إلى أسس لسانية، فهي موازية للسانيات، وإذا كانت اللسانيات تعنى بالعناصر اللسانية نفسها فإن الأسلوبية تعنى بالقوة التعبيرية للعناصر اللسانية ووظيفتها الجمالية. ويبقى للأسلوبية ميزات خاصة تميزها عن اللسانيات وفروعها.

بل يمكن القول إن الأسلوبية هي صلة الوصل بين اللسانيات والأدب ونقده" وبها تنتقل من دراسة الجملة لغة، إلى دراسة اللغة نصا فخطابا فأجناسا ولذا كانت الأسلوبية جسر اللسانيات إلى تاريخ الأدب⁽¹³⁾ إنها علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب.

ويظهر الأثر اللساني في الأسلوبية في آليات التحليل ومستويات تناول اللغة التي تأخذها الأسلوبية من اللسانيات" فلما كانت الأسلوبية تتشد الموضوعية العلمية والصرامة والمنهجية، وكان للألسنية من الانضباط المنهجي ما أهّلها للانتصاب علما مضاهيا للعلوم الصحيحة نزعت إلى التوفر على آليات تحليلها والاقتداء بمبادئها المنهجية حتى تشارف مكانتها وتتبوأ مرتبة المبحث العلمي الموضوعي"⁽¹⁴⁾

ولأجل هذه العلمية والصرامة المنهجية لم تخرج الأسلوبية عن كونها" وصفا للنص الأدبي حسب مناهج مأخوذة من علم اللغة"⁽¹⁵⁾ مما يبيّن بوضوح أثر اللسانيات في نشأة النقد الأسلوبي وآلياته التي هيّ بالأساس آليات لغوية ومستويات تحليلية لسانية تبدأ بالأصوات مرورا بالبنى الصرفية والتركييبية وتنتهي بالمستوى الدلالي". فالشحنة الدلالية

والعاطفية الماثلة في الخطاب الأدبي والمؤثرة في المتلقين، لا يتهيأ لنا أن نسبرها ونهتدي إلى منابعها ما لم نحلل العلاقات اللغوية ونكشف قيمتها التعبيرية، أي ما لم ندرك النصّ في ذاته، وانطلاقاً من تحليل المادة اللغوية المكونة له، ولتحقيق هذه الغاية نتوسّل بما يتوسّل به علم اللغة من دراسة الموضوع وفق مستويات يخاص كل واحد منها بمكوّن وبذلك نضمن للتحليل أقصى درجة من الانضباط الموضوعي⁽¹⁶⁾

واستهداف الأسلوبية الموضوعية والعلمية بالتوفر على ما أنتجه البحث اللساني أثبت خصوبته وفائدته في التحليل والاقتراب من العلمية أثناء التحليل للخطابات بمختلف أجناسها، خاصة وأنها- الأسلوبية- تدرس النص بصفته ظاهرة لغوية وأدبية، ولا تكفي بجانب في الدراسة دون آخر" وإنما تدرس كل مكونات النص من أصغر وحدة لغوية إلى أكبرها فيه، مع محاولة إدراك الأبعاد الدلالية التي تتضمنها السياقات المنزاحة عن منطلقها اللساني"⁽¹⁷⁾

زبدة الحديث في هذه العلاقة أنّ الأسلوبية منهج نقدي صارم الرؤية والتحليل في النظر إلى النص الأدبي" يسعى إلى تحديد الخصائص اللغوية التي بها يتحوّل الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية... وتسعى إلى أن تكون علماً تحليلياً تجريدياً يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل جمالي في غير منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك اللساني ذا مفارقات عمودية ويرمي إلى إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفني إدراكاً نقدياً مع الوعي بما تحقّقه تلك الخصائص من غايات وظائفية"⁽¹⁸⁾

فالأسلوبية بحث عن السمات والوقائع المميزة في العمل الأدبي، تنظر للنص الأدبي بصفته خطاباً لغوياً يحقق الإبلاغ ويتجاوزه للإمتاع والتأثير في المتلقي، وهنا تختلف عن اللسانيات من حيث تركيز الأسلوبية على العناصر اللسانية التي تتجاوز الإخبار إلى الجمال والإبداع (السمات المميزة) في العمل الأدبي الفني، في حين تعالج اللسانيات العناصر اللسانية في ذاتها ولأجل ذاتها ضمن الخطاب العادي، وكيف تؤدّي الإخبار والتواصل. "فعمل الباحث الأسلوبي يختلف نوعياً من عمل اللساني، فهذا ينهض على تشريح العناصر أو الوحدات اللغوية المكونة للخطاب العادي، فيما يسعى ذلك إلى تعيين الملامح والخصائص الجديدة، وإن كانا يلتقيان في أنّ اللغة تمثل عند كليهما قاطعاً مشتركاً

للتحليل والبحث⁽¹⁹⁾ فالأسلوبية تعالج وتبحث في القيمة المضافة التي تمنح النص والعمل الأدبي تميزا وتفردا نسميه أسلوبا يختلف من مبدع لآخر.

ويختلف النقاد حديثا في التفرقة بين علم الأسلوب والأسلوبية كل حسب وجهة نظره وتخصصه، فإذا كان الأسلوب هو الطريقة ونظام القواعد المنتظم، أو لنقل "الأسلوب خلق وإبداع، تجاوز لنفس المبدع وحفر مجرى لغوي خاص يصنع الكاتب نفسه"⁽²⁰⁾، فإن الأسلوبية تطبيق وتحليل للجانب الأدبي من النصوص ببحث وظيفتها الشعرية وما يمنحها تميزا وإبداعا، وهي أيضا يختلف فيها النقاد فهي عند البعض فرع من اللسانيات، وعند آخرين فرع من علم النفس، وبعدها بعضهم امتدادا للبلاغة، وغيرهم يضمها للنقد الأدبي، "على أن الأسلوبية علم مستقل لها منظورها الخاص للنص الأدبي ولها مناهجها الخاصة لتحليل الظاهرة الأسلوبية"⁽²¹⁾.

ثالثا: العلاقة بين الأسلوبية واللسانيات:

وتظهر علاقة الأسلوبية باللسانيات في استفادة الأسلوبية من اللسانيات في نشأتها خاصة الأسلوبية التعبيرية مع "شارل بالي" وهو بالأساس أحد تلامذة "فردينان دي سوسير"، إذ حين تفرقة دي سوسير بين اللغة والكلام بعد اللغة مخزونا ذهنيا مجردا خاضع لنظم وقواعد تركيبية محدودة العدد نسبيا ماثلة بالقوة في ذهن الجماعة التي تستعملها، والكلام تحقيق فعلي لبعض إمكانات هذا المخزون الفعلي المجرد مختلف من فرد لآخر يستحيل معه الوصول إلى نتائج ثابتة وإخضاعه للعلمية فأهمل دراسته، ليأتي "شارل بارلي" بعده ويهتم به وينطلق منه في التعبير عن أهمية الطاقات التعبيرية التي تحملها الأساليب اللغوية وتظهر معه الأسلوبية علما جديدا ومنهجيا نقديا في مقارنة النص الأدبي يرتكز على أسس لسانية تدعو بالأساس للنظر في بنية النص الداخلية دون السياقات الخارجية التي كانت مع المناهج النقدية السياقية، فالأسلوبية إذن تحلّ من اللسانيات محل الكلام من اللغة"⁽²²⁾

وهي تأخذ من اللسانيات ما يخدم منهجها ويوسع من إجراءاتها ويكشف السمات الدالة على المستويات المختلفة" فهي تهتم بالخصائص الأسلوبية على المستوى الصوتي والإيقاعي، وعلى المستوى الصرفي وعلى المستويين التركيبي والدلالي. إنها تركز على السمات والملاحم التعبيرية التي تجعل من النص أسلوبا مخصوصا"⁽²³⁾

فالأسلوبية منهج نقدي يستند إلى آليات لغوية في تحليلاته، وهنا تظهر العلاقة بينهما، ومدى تأثير اللسانيات في إنتاج المصطلح النقدي الأسلوبي وضبطه، فـ" من دعائم النقد اللغوي ومقوماته: اعتبار اللغة مادة الأدب منها يكون المنطلق في تحليله، وعليها يكون التركيز، واللغة في الأدب ليست مجرد وسيلة إبلاغية، بل هي غاية في حد ذاتها، لما تنفرد به من خصائص تعبيرية، فالفن والإبداع والتميز والأثر يكمن في لغة الأديب، باعتبارها لغة متميزة لا مثل لها، تهدف الأسلوبية إلى دراستها عبر كل المستويات ليرز علاقة الأسلوبية باللسانيات (علاقة جزء بكل)، وأمام سعيه الكلي إلى تطوير نفسه (مبادئ ونظريات) بشتى الطرق والوسائل، كان لزاما على الباحث الأسلوبي أن يستفيد من المبادئ الأساسية المطروحة في هذا العلم ونظرياته المتنوعة والكثيرة، ومنه اشتركت الأسلوبية مع جميع الاتجاهات اللسانية دون التعصب إلى اتجاه لساني بعينه، فنجدها قد استفادت من المفاهيم الأساسية التي طرحتها اللسانيات الشكلانية الحديثة، التي تعود جذورها إلى لسانيات " فرديناند دي سوسير" كما اشتركت مع لسانيات" أفرام نعوم تشومسكي" في تناولها ما سمي " البنية العميقة " والبنية السطحية وغيرها من المفاهيم التشومسكية"

إذا انتقلنا إلى " ليوسبيتزر" في أسلوبيته النقدية (التكوينية) نجده يقوم على فكرة مفادها عدم الفصل بين اللغة والأدب، ويرفض بشدة التقسيم التقليدي بين دراسة الأدب ودراسة اللغة،" معتمدا الحدس للتوغل في عمق الفعل الأدبي الذي ينتمي إليه من خلال أصالة الشكل اللساني، أي الأسلوب"⁽²⁴⁾، ويظهر الأثر اللساني لهذا النوع الأسلوبي في قيام الأسلوبية التكوينية على دراسة وقائع الكلام؛ أي الوقائع اللغوية التي تبرز السمات اللسانية الأصلية لكاتب أو كتاب معين، فهي تنطلق من أسس لغوية صريحة.

وأما" رومان جاكسون" في أسلوبيته الوظيفية البنوية" فنجدها لسانية بالأساس بدءا بتوجهه الوظيفي ضمن مدرسة براغ ثم أفكار أسلوبيته ومبادئها البنوية التي تحاول كشف المنابع الحقيقية للظاهرة الأسلوبية، ليس في اللغة بعدا نظاما من مجردا فحسب، بل في علاقة عناصرها ووظائفها"⁽²⁵⁾، ثم إن مبادئ الأسلوبية الوظيفية لسانية بالأساس ومنها: البنية، واللغة والكلام، والوظائف اللغوية الست وأهمها الوظيفة الشعرية (الأدبية)، والوحدات الصوتية المميزة وهي مأخوذة من فرع من اللسانيات يسمى الصوتيات الوظيفية،

ومحو الاختيار والتأليف، فهمي مستمدة من فكر دي سوسير ونظرتة للغة ناهيك عما أبدعه جاكسون من رؤى لسانية وظيفية خاصة به.

فالأسلوبية الوظيفية أسلوبية لسانية في كثير من تحليلاتها ومنطلقاتها تمدّ الباحث الأسلوبية بكل ما يحتاج إليه في تحليله النص ووحدهاته الداخلية.

هكذا نجد أن اتجاهات الأسلوبية لسانية في رؤيتها، فإذا كانت غاية العمل الأدبي تكمن في تجاوز الإبلاغ إلى الإثارة فإن غاية الأسلوبية وهدفه في دراسة العمل الأدبي تكمن في دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية⁽²⁶⁾

ف نجد كما أسلفنا الذكر أنّ لسانيات دي سوسير أنجبت "أسلوبيات شارل بالي" وولدت بنويته التي احتكت بالنقد الأدبي شعريات جاكسون وتودوروف، وأسلوبيات ريفاتير، القائمة على بحث الوقائع والسمات الأسلوبية المميزة للنص الأدبي، وهي تيارات - كما يرى رابح بوحوش- ومدارس استمدّت رصيدها المعرفي من اللسانيات، وهو ما أدّى ببعض الأسلوبيين للقول بأنّ الأسلوبيات منهج لساني.

ويظهر من خلال هذا أنّ الأسلوبية نشأت مرتبطة باللسانيات وضمنها ثم استفاد منها النقاد في مقارنة النصوص وتحليلها، وهو ما منحها قدرة للجمع بين صرامة المنهج العلمي في دراسة اللغة والمنهج النقدي في دراسة النص الأدبي ومنها أصبحت تجمع بين العلم والمنهج.⁽²⁷⁾

وحتى هدفها وغايتها تعتمد على مقومات لسانية؛ فهي تسعى إلى "معالجة الظاهرة الأسلوبية في نصوصها وسياقاتها باعتماد المنهج اللساني"⁽²⁸⁾

وفي هذه المعالجة تتخذ طريقتين: إما معالجة نسقية تركز على المعنى الكلي بعدّ الأسلوب نظاما لغويا يحلّ وفق مستويات اللغة، وإما معالجة تركز على الخصائص الأسلوبية التي تميّز نسقا لغويا من آخر، وفي الطريقتين تتخذ من اللسانيات ومستوياتها التحليلية عمادا لها، ذلك أنّ الأسلوب لا يخرج عن كونه نظاما لغويا يحوي متغيرات لسانية تشكل الظواهر الأسلوبية، تمنح النص أدبيته وخصوصية صاحبه، لذلك تركز الأسلوبية على جملة من الخصائص والقضايا اللسانية، فتهمّ بجماليات الأصوات ودلالاتها، ومدى تأثيرها في المتلقي؛ لإبراز مجال التفاعل بين الدّوال والمدلولات، والعلاقات الطبيعية

بينهما، لأنّ في تطابق الأصوات ومعانيها تبرز قيمة الصناعة الأدبية وروعة النص. كما تعنى بنسيج الوحدات المورفولوجية والاسمية، والفعلية، والتراكيب، والدلالات، وبالنظر إلى الأسلوبية تقف المعالجة عند كل طريق متميّز، سواء أتعلّق ذلك بحسن التصرف في الاستعمال كالاختيار والدلالة أم تعلّق بانتهاك النظام كالعدول ومخالفة المألوف، وخرق القوانين⁽²⁹⁾

من هنا يبرز أثر اللسانيات في تغذية النقد الأدبي بمفاهيم وآليات تعينه في التحليل، وتميط اللثام عن كثير من المسائل التي لم تكن واضحة لدراسي الأدب- كما يرى الباحث راجح بوحوش- وهي مفاهيم تنعت بالثورية كفكرة العدول والسياق الأسلوبي، والدلالة الحافة، وثنائية اللغة والكلام، والاختيار والكتابة والخطاب، والعلامة...⁽³⁰⁾

ويقتضي الوصف اللساني البنوي للأسلوب عملية ضبط وتحديد فليست كل العناصر اللسانية في نص ما محل للدراسة، وإنما تعتمد الأسلوبية في تحليلاتها ومقاربتها للنصوص الأدبية، ما يمكن تسميته بالوقائع الأسلوبية، أو العناصر التي تمثل سمات أسلوبية؛ إذ من الضروري والمهم فرز العناصر التي تمثل سمات أسلوبية، ثم نخضعها للتحليل اللساني مع إبعاد كل ما هو غير مناسب أسلوبيا في النص، وهي نقطة جوهرية للفرقة بين اللغة والأسلوب فالوقائع الأسلوبية، من جهة لا يمكن ضبطها إلا داخل اللغة ما دامت هي حاملتها، وبنبغي من جهة أخرى أن يكون لهذه الوقائع طابع خاص وإلا فإنه لا يمكن تمييزها عن الوقائع اللسانية⁽³¹⁾

وهنا يبرز الفرق والأثر؛ الفرق بين التحليل اللساني المعتمد على إبراز العناصر اللسانية وكيفية انتظامها، والتحليل الأسلوبي الذي يرتكز على عناصر المتوالية التي سيكون لها قيمة أسلوبية بحكم تكرارها أو جمالياتها في الخلق والإبداع داخل النص⁽³²⁾. ومع ذلك يبقى للعناصر اللسانية دورا مزدوجا باعتبار عناصر النسق اللساني هي نفسها عناصر النسق الأسلوبي بعد إبعاد كل ما هو غير مناسب أسلوبيا، وهنا يبرز الأثر أثر اللسانيات في النقد الأسلوبي إذ الأسلوبية تبحث في الاستعمال الأدبي للغة فتبحث في كل متغيرات النص اللسانية ووظائفها الجمالية.

رابعاً: أثر اللسانيات في التحليل الأسلوبي:

يبرز أثر العناصر اللسانية في التحليل الأسلوبي في كون الأسلوبية تقوم على دراسة المتغيرات اللسانية التي تخرج عن القاعدة اللسانية والمعيار لتشكل أدبية النص وجماليته. فتهتم الأسلوبية بتفاعل البنى اللغوية في النص وتحللها وفق مستويات اللغة صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة لتشكل مجتمعة الرؤية الأسلوبية البنوية في تحليل العمل الأدبي؛ وذلك بالنظر في البناء الصوتي⁽³³⁾ من حيث تكرار أصوات معينة وما توحى به أو تقتضيه في موقع استعمالها وما تتطلبه سياقاتها التواصلية وتؤثر به في متلقي النص الأدبي، مع النظر في دلالات المقاطع الصوتية قصيرة وطويلة وما تعكسه في ذهن متلقيها، كما تنتظر الأسلوبية في البناء الصرفي (المورفولوجي) من حيث ارتداد الوحدات الصرفية بإحساءات ودلالات بلاغية فنية عميقة، بعدها رسائل لغوية تؤثر في السياق التواصلية بين المبدع ومتلقيه، وأما البناء التركيبي فتنتظر إليه الأسلوبية من حيث توظيف الشاعر للجمل الطويلة أم القصيرة، والفعلية أم الاسمية أم المزوجة بينهما، ودلالات التقديم والتأخير والتعريف والتكثير والأساليب اللغوية المستعملة فكل من هذا دلالة وأثر يصنع به الكاتب أسلوبه ويضمنه انفعالاته، وأما البناء الدلالي في المقاربة الأسلوبية فيعالج الثراء الدلالي للمبدع ومدى تنوعه في حقول ما يستعمل لموضوعه بحسب قدرته وحالته النفسية والشعورية مما يعكس مضمون عمله ودلالته العامة التي تتراوح مثلاً بين فرح وسرور قلق وتوتر، انبساط أو انفعال، وكذا مدى تغيير المبدع في دلالات ألفاظ لغته وتراكيبه التي تصور قدرته الإبداعية.

فهذه كلها مستويات بنوية لغوية للتحليل الأسلوبي وفق مستويات اللسانيات، نجد فيها أثر اللسانيات واضحاً في صناعة النقد الأسلوبي ومصطلحاته وآلياته التحليلية.

خاتمة:

إجمال القول هنا إن اللسانيات الحديثة جزء من ثورة معرفية مسّت كثيراً من

المجالات

وقد تولّد في علاقتها بالأدب والنقد مدارس ومناهج نقدية عديدة منها السيميائيات والنفيكيات والشعريات وخاصة الأسلوبية التي ترمي إلى علمنة الظاهرة الأدبية والتقليل من الأحكام الانطباعية غير المعللة، بالاستناد إلى المعرفة اللسانية التي مكنتها من تعميق

النظر في النص وما فيه من متغيرات لسانية يعدل فيها المبدعون عن القاعدة، وسمات أسلوبية تكشف مقاصد النص وغاياته.

وقد مكنت اللسانياتُ الأسلوبيةَ من اقتحام عالم النص الأدبي، والنظر فيه وتحليله وإخضاعه لأحكام موضوعية مبنية على الأنساق اللسانية في النص ودلالاتها المضمرة.

فالسانيات بما فيها من صرامة علمية ومنهجية أكسبت الأسلوبية علميتها وتميزها في دراسة اللغة الأدبية التي تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء بما يضمنه من انحراف وعدول واع، واختيار قصدي للألفاظ والتراكيب،

ويظهر أثر اللسانيات في إنتاج المصطلح الأسلوبي ومنهج دراسته النص الأدبي في كون النظرة الأسلوبية تحاول المزج بين المقاييس اللغوية بالنقد الأدبي ممثلاً هنا في الأسلوبية التي تدرس السمات المميزة للعمل الأدبي التي مكنته من التحول من السياق الإخباري إلى الوظيفة التأثيرية والإقناعية.

الهوامش:

- (1) يركز النقد القديم على لغة النص وتعامله معه من خلال محيطه الخارجي، والعوامل المؤثرة فيه وعلاقته بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والظروف الخاصة لمؤلفه.
- (2) تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي، ص 366.
- (3) المرجع نفسه، ص 27.
- (4) ينظر: نعيمة سعدية: الأسلوبية والنص الشعري، ص 19.
- (5) <http://www.stob5.com/301826.html> (تاريخ الاطلاع: 2017/11/11، الساعة: 12:34)
- (6) عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، در الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط5، ص 33.
- (7) ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص: 31، 32. ونور الهدى حسني: البلاغة والأسلوبية اللغوية دراسة في سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2018، ص 13.

- (8) بيار جبرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط2، 1994م، ص 54.
- (9) عمر أوكان، اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، 2001م، ص 169.
- (10) نعيمة سعدية: الأسلوبية والنص الشعري، دار الكلمة، ط1، 2016، ص 17.
- (11) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها. <http://www.stob5.com/301826.html> (تاريخ الاطلاع: 2017/11/11، الساعة: 12:34)
- (12) جوزيف شريم: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1984، ص 37، 38.
- (13) عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، ص108. ومنذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوى، ط1، 2015، ص 25.
- (14) محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ص 153.
- (15) عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، ص 44.
- (16) محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ص 153.
- (17) نعيمة سعدية: الأسلوبية والنص الشعري، ص 17. ونور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزء: 02، دار هومة، الجزائر، 1998، ص 18.
- (18) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزء 01، ص 15.
- (19) محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ص 157.
- (20) فاتح علاق: في تحليل الخطاب الشعري: دار التنوير، الجزائر، ط2، 2008، ص 80.
- (21) المرجع نفسه: ص 80.
- (22) محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث ومدارسه النقدية، ص 157. أوضح شارل بالي أهمية أسلوبيته في كتابيه: محاولات في الأسلوبية الفرنسية" أصدره سنة 1902، و"المجمل في الأسلوبيات" أصدره سنة 1905.
- (23) فاتح علاق: في تحليل الخطاب الشعري: دار التنوير، الجزائر، ط2، 2008، ص 80.

- (24) رباح بوحوش: الأسلوبية وتحليل الخطاب: منشورات جامعة باجي مختار عنابة، ص 34.
- (25) المرجع نفسه، ص 36.
- (26) عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، بيروت، 1983، ص 32؛ وينظر: محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص 195.
- (27) ينظر: ميس خليل محمد عودة: تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي كتاب مفتاح العلوم للسكاكي نموذجاً، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2007/2006، ص 05.
- (28) عدنان بن ذريل: اللغة والأسلوب، ص 140.
- (29) رباح بوحوش: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص 04.
- (30) حمادي صمود: المناهج اللغوية في دراسة الظواهر الأدبية، مجلة الأقلام، العراق، العدد 07، 1979، ص 33؛ ورباح بوحوش: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 04.
- (31) ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم وتعليق: حميد لحميداني، منشورات دراسات سال، المغرب، ط1، 1993، ص 17.
- (32) ينظر: ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ص 17.
- (33) رباح بوحوش: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 100-108.